

## Palestinian State Formation: Education and the Construction of National Identity

Nubar Hovsepian

New castle: Cambridge Scholars Publishing, 2008. 269 pages.

خلال العقدين الأخيرين. فقد تولت السلطة الفلسطينية أمور السيطرة على المؤسسات التعليمية في الضفة الغربية والقدس الشرقية وغزة في سنة 1994، وواجهت على الفور أزمة ناجمة عن الدعم البائس الذي كانت هذه المؤسسات تتلقاه في ظل الاحتلال الأجنبي طوال القرن العشرين. وكان المربون الفلسطينيون، منذ أيام الانتفاضة الأولى، وجدوا طرائق مبتكرة لتعليم تلاميذهم؛ وفي الأيام الأولى من قيام السلطة الفلسطينية، سار بعض المربين فيها، مثل إبراهيم أبو لغد على هُدَي تعليمات اليونسكو ومركز تطوير المناهج الفلسطيني في إعدادهم التوجيهات والإرشادات الخاصة بالتعليم الفلسطيني. وقدّموا تقريراً رفض ما كان يشكل حجر الزاوية في النظام التعليمي قبل سنة 1994، ذلك النظام الذي يقوم على الاستظهار، ودعا إلى إيجاد طرائق تُكسب الطلبة تقنيات التعليم النقدي. وبدلاً من إدماج هذه الأفكار في بنية المناهج الدراسية، سارت السلطة الفلسطينية تبعاً لمطالب المؤسسات المانحة في المقام الأول، وخصوصاً تلك التي أنشأها البنك الدولي، إذ يلجّ [ما يُسمى] "مقاربة الصيرفي" هذه (ص 4) في نقل المعرفة والسلطة بدلاً من تعليم الأدوات اللازمة لنقد مثل هذه المعرفة والسلطة. كما جعلت السلطة الفلسطينية من نفسها مورداً وناشراً للمعرفة الرسمية عن فلسطين، ودولتها الجديدة، وتاريخها، ولم تترك للأصوات البديلة سوى حيز ضئيل من المناهج الدراسي. ويبيّن هوفسيان أن دراسة المؤسسات التعليمية الفلسطينية تكشف عن عمليات متناقضة في الظاهر، وتجري في الوقت نفسه. فمنذ قيام الدولة الفلسطينية والفاعلون الخارجيون يتدخلون في عملية اتخاذ القرار، مستولين بذلك على بعض الفاعلية التي تسيطر عليها، فضلاً عن تيسيرهم مركزاً القوة المحلية داخل تلك الدولة ذاتها بالعمل على تهميش أولئك الذين ليس لديهم القدرة على

في هذا الكتاب، يتخذ المؤلف، وهو الأستاذ المشارك في العلوم السياسية والدراسات الدولية في جامعة تشابمان في كاليفورنيا، نظام التعليم لدى السلطة الفلسطينية مثلاً يتفحص من خلاله ما يمارسه المانحون الدوليون، ومسؤولو السلطة الفلسطينية، والفاعلون من خارج السلطة، من تأثير في تطور الدولة ومؤسساتها. ويحدد هوفسيان غايته وهي رغبته في أن "يبين الاستراتيجيات الفلسطينية المستخدمة في تغيير نظام التعليم وإعادة بنائه في سياق عملية تكوين الدولة التي هي محلّ نزاع شديد" (ص 11). وبغية إنجاز هذه المهمة كما يجب يبدأ هوفسيان بوضع إطار لفهم مشكلات الدولة الفلسطينية وأهدافها بعد سنة 1994. فالدولة الفلسطينية لا سيادة لها، في حقيقة الأمر، مع أن اتفاق أوسلو في سنة 1993 كان منح مؤسساتها نوعاً من الوكالة على بعض أوجه الحكم الفلسطيني. كما أن سياسات الاحتلال الإسرائيلي المتواصل والاعتماد على المانحين الدوليين يشيطان قدرة مؤسسات السلطة الفلسطينية على اتخاذ قرارات مستقلة. وفي مثل هذه الأوضاع، فإن هوفسيان يعتبر فلسطين دولة تعيش على المعونات وتعتمد اعتماداً شديداً على مصادر التمويل الخارجي. وتلك هي القنوات التي تؤثر من خلالها سياسات التنمية التي كتبتها ورسمتها الوكالات الدولية في عملية صنع القرار في مؤسسات السلطة الفلسطينية جميعاً. أمّا الفاعلون المحليون فقد هُمّشوا في كثير من مؤسسات الدولة لأن أفكارهم ومطالبهم لا تتسجم مع تلك التي يملئها المانحون، أو ترغب فيها قيادة السلطة الفلسطينية.

ويشكل نظام التعليم نموذجاً ملائماً بصورة خاصة لتفحص نظريات هوفسيان أنفة الذكر، لأن كثيرين من الفاعلين، داخل فلسطين وخارجها، كانوا سعوا للتدخل في تحديد أهداف هذا النظام

تفعيل سياساتهم.

غير أن هنالك مشكلتين صغيرتين في هذا النص الذي لولاهما لكان من أقوى الدراسات، ذلك بأن هوفسبيان يناقش عدداً كبيراً من النظريات عن دور المانحين الدوليين، ومركزة الدول، وتطوير المناهج الدراسية، لكنه لا يعود إليها في نهاية الكتاب، ولا يختم بخلاصة تربط هذه النظريات معاً في تحليل فريد للدولة الفلسطينية ونظامها التعليمي. كذلك، فإنه كثيراً ما يستخدم صيغة الزمن الحاضر على الرغم من وقوع الأحداث التي يصفها في الزمن الماضي، وهذه مشكلة تبرز كلما تناول كاتب قضية معاصرة، إذ إن التطورات، عادةً، تتحرك بسرعة أكبر من قدرة الناشرين على الطبع، لكن على

الكاتب أن يتخطى هذه المشكلة بأقصى ما يستطيع. وتبقى هذه الدراسة، على الرغم من المشكلتين السابقتين، دراسة ممتازة عن تكوّن الدولة الفلسطينية ونظامها التعليمي. ولا بد من أن الباحثين، والخريجين، والطلاب سيفيدون من تحليل هوفسبيان لفهم فلسطين، وفهم تلك القضايا الأوسع الخاصة بالدولة والتعليم في الشرق الأوسط أيضاً.

بتي أندرسون

أستاذة مشاركة

في قسم تاريخ الشرق

الأوسط – جامعة

بوسطن

(\* المصدر: *Journal of Palestine Studies* 155, vol. XXXIX, no. 3 (Spring 2010), pp. 89-90.

ترجمة: نائر ديب.